أثر العقيدة الإسلامية في التنمية القيمية

محمد قسوي
طالب باحث بسلك الدكتوراه – أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة مولاي إسماعيل بمكناس
المغرب

مقدمة

وهل بقي شك في أن العقيدة الإسلامية من أعظم مداخل التنمية عامة، والتنمية القيمية خاصة؟ وقد بدلت هذه العقيدة مجرى التاريخ، وأخرجت العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد؛ فانطلقوا يحررون البشرية من الاستعباد، ويضعون عنها الإصر والأغلال والحجب التي كانت على عقلها وفكرها، وأخرجت الناس من ضيق الدنيا وظلمتها إلى سعة الدنيا والآخرة ونورهما، فطفق المؤمنون يستكشفون الكون، ويعمرون الأرض ويصلحون فيها؛ يبتغون بأعمالهم الدار الآخرة غير ناسين نصيبهم من الدنيا، ويحسنون إلى خلق الله كما أحسن الخالق إليهم.

وإن هذه العقيدة لا ينضب معينها، ولا تخلَق على كثرة العطاء، فهي قادرة على تنمية القيم الإنسانية بعد تراجعها واضمحلالها، وتقويم اعوجاجها، وبعث وإحياء ما مات منها؛ فتصوغ الإنسان من جديد وفق ما أراده الله أن يكون عليه: إنسانا صالحا مصلحا، وتمنح للأمة "العودة الحضارية الراشدة الشاهدة القائدة"؛ لتقوم بوظيفتها التي نيطت بها: بحفظ ميزان الله من التغيير والتشويه والتغييب؛ ليبقى المعروف معروفا والمنكر منكرا، فتؤدي حق الإنسانية عليها؛ لأنها أمة أخرجت للناس.

ومن أجل كشف ما تفعله هذه العقيدة الصافية النقية بمن تنور بنورها، وزكت نفسه بالتحقق بها، جاء هذا البحث معنونا بـ: "**أثر العقيدة الإسلامية في التنمية القيمية**"؛ أبتغي به الإسهام في تجلية أثر هذه العقيدة إذا رسخت في تخريج الإنسان الصالح المصلح، الذي يصلح ولا يفسد، وينفع ولا يضر، ويحسن ولا يسيء.

واعتبارا للآثار السلبية التي خلفتها القطيعة بين العلوم، فاقتصر كل ذي تخصص على تخصصه، واكتفى كل ذي فن بالأحكام الجاهزة في نظرته إلى الفنون والتخصصات الأخرى، فلم يسلم علم من العلوم من تلك الأحكام الجائرة، حتى طال الأمر العقيدة الإسلامية أيضا، فرميت _ظلما وبهتانا_ بتهم هي منها براء، وإذا كان الحديث عن القيم الإنسانية وتنميتها، فحقها التغييب والإقصاء، والأدهى اعتبارها من عوائق التنمية والتطور، وإدراجها ضمن عوامل التخلف والتقهقر، فجاء هذا البحث مثيرا للإشكالات الآتية:

- ما هي العلاقة بين العقيدة الإسلامية والقيم الإنسانية؟
- ما هو أثر العقيدة الإسلامية في بناء القيم وتنميتها لدى الإنسان؟ وما هي القيم التي تنميها؟
- كيف نُمكِّن للعقيدة الإسلامية لتؤدي وظيفتها في التنمية القيمية؟

وإني أرود في مسارح نظري وتنقيبي من وراء هذا البحث أن أتوصل إلى:

- بيان العلاقة الوطيدة بين العقيدة الإسلامية والقيم الإنسانية؛
- بيان كون العقيدة الإسلامية أساس القيم الإنسانية وحاميها من الانحراف والتشوه والاندثار؛
- بيان أثر العقيدة الإسلامية في تثبيت القيم الإنسانية وترسيخها؛
- الكشف عن كيفية تنمية العقيدة الإسلامية للقيم الإنسانية؛
- تحديد الطريقة الصحيحة الممكنة للعقيدة الإسلامية من أداء وظيفتها في تنمية القيم الإنسانية؛
- تصحيح النظرة الخاطئة التي تنظر إلى العقيدة الإسلامية معتبرة إياها مضادة للقيم الإنسانية.

وبذلك تشكلت صورة البحث من العناصر الآتية:

مقدمة في بيان أهمية الموضوع، تلاها المبحث الأول بعنوان: العلاقة بين العقيدة الإسلامية والقيم الإنسانية، وبعده المبحث الثاني بعنوان: أثر العقيدة الإسلامية في التنمية القيمية، ثم المبحث الثالث بعنوان: سبل تمكين العقيدة الإسلامية من أداء وظيفتها في التنمية القيمية، ثم قفيت البحث بخاتمة تضمنت خلاصات البحث ونتائجه.

المبحث الأول: العلاقة بين العقيدة الإسلامية والقيم الإنسانية

قبل الحديث عن العلاقة بين العقيدة الإسلامية والقيم الإنسانية، لا بد من مقدمة عن أصل القيم الإنسانية ومنبعها:

المطلب الأول: معيار تحديد القيم بين الخالق والمخلوق

إن كثيرا مما يدعى قيما إنسانية – بغض النظر عن قبولها أو ردها – قيم حُددت من لدن الغالب في هذا العصر[1]، ولم يجد المغلوب المولعُ بتقليد غالبه إلا قبولها تحت وطأة الهزيمة النفسية وعقدة النقص، أو الإذعان لها على مضض تحت ضغط الخوف والتهديد، وإن الانطلاق من العقيدة الإسلامية التي تحرر العقل البشري من القيود يحتم علينا أن نتساءل كما تساءل الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: "الله أم الإنسان، أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان؟"[2] فنقول: الله أم الإنسان، أيهما أقدر على تحديد القيم الإنسانية؟

أولا: اختلاف المعايير البشرية في تحديد القيم

إن نظرة تأمل فيما وصلت إليه البشرية حينما حاول الإنسان أن يتولى أمر نفسه بنفسه، وأعرض عن معيار ربه؛ لتكشف للمتأمل كيف انقلبت المفاهيم والقيم، وصار المعروف منها منكرا، والمنكر معروفا، وسقطت البشرية في دركات الشقاء، والتاريخ بماضيه وحاضره على ذلك شهيد، ففرعون لما جعل لنفسه المركزية التي لا يستحقها إلا الله اعتبر إفسادَه في الأرض هداية إلى سبيل الرشاد، وصور لقومه إصلاح موسى عليه السلام تبديلا للدين وإظهارا للفساد في الأرض، وأما اليوم فقد "فقدت سفينة الفضاء "الأرض"، التي نبحر نحن كلنا على متنها، اتزانها، وهي مهددة اليوم بعد خمسة قرون من الهيمنة الغربية المطلقة بالسقوط، إذا استمررنا في هذا الطريق. لم نكن لنتخيل إدارة أسوأ من ذلك لكوكب الأرض"[3]، والسبب في ذلك أن الحضارة الغالبة اليوم أقامت نفسها مقام الإله في تحديد الخير والشر، وتصنيف الحق والباطل، وهي "كما كتب مالرو: "حضارتنا هي الأولى في التاريخ، التي إذا طرح السؤال الأهم: "ما معنى الحياة؟"، أجابت: "لا أعرف"[4].

والسبب في اضطراب معيار تحديد القيم الإنسانية إذا وُكِّل تحديدها إلى الإنسان هو: تحكم الأهواء، والمصالح الشخصية، والقوة، والسيطرة، والتفوق الحضاري، أو الخضوع، والذلة، والهزيمة النفسية... فلكل فرد، ولكل قبيلة، ولكل قوم، ولكل دولة، ولكل أمة قيم على حسب السيطرة والغلبة أو الخضوع والضعف، وعلى حسب ميراثها الثقافي، وعلى حسب سلامة الفطرة أو انتكاسها...

وإذا سلمت فطرةُ مَنْ وُكل إليه تحديد القيم الإنسانية فإنه لن يأتي إلا بأصول القيم التي فطر الله خلقه على قبولها وحبها، وأما فروع تلك القيم وتنزيلها فيعسر أن يتفق فيه من سلمت فطرهم، ناهيك عن منكوس الفطرة وممسوخها الذي يعتبر تلك القيم الكبرى تخلفا وعوائق أمام طاقات الإنسان.

---

[1] يقول د. فتحي حسن ملكاوي: "وهذه القرارات تُتخذ عادة في مؤتمرات دولية متخصصة، تهيمن عليها قوى غربية، تفرض موضوعات البحث واتجاهاته على الآخرين، على افتراض أن الغرب المتقدم قد توصل إلى منظومة القيم الإنسانية العامة... وهكذا أصبحت هذه المؤتمرات وما يُتخذ فيها من قرارات "مرجعية" في تحديد القيم" التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، د. فتحي حسن ملكاوي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة 14، العدد 54، خريف1429هـ/2008م: 15.

[2] عنوان كتاب للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ألقاه محاضرةً في صالة بروناي من كلية الدراسات الشرقية والإفريقية في لندن عام 1418هـ.

[3] حفارو القبور: روجيه جارودي: 23-24.

[4] حفارو القبور: روجيه جارودي: 8.

فمن سيحدد هذه القيم؟ وبأي معيار سيحددها؟ وكيف سيقبلها الآخرون؟ وهل سيقبلونها بإرادتهم؟ أم بالضغط والتهديد والهزيمة النفسية؟ وإذا علمنا أن الإجابة عن هذه الأسئلة تقول بأن إسناد تحديد القيم الإنسانية إلى الإنسان نفسه أمر لا يستقيم؛ فينبغي أن نتساءل مرة أخرى: من أين لنا بتحديد القيم الإنسانية التي نريد للبشرية أن تنعم بظلالها وتتمتع بقطافها؟ ومن أين لنا بالاتفاق حول تلك القيم؟

إن الجواب عن هذه الأسئلة يأخذنا إلى ضرورة كون المحدد خبيرا بالإنسان، عليما بما يصلح له وبما يصلحه، عدلا لا يميز بين إنسان وإنسان على أساس اللون والعرق واللغة والبلد... رحيما بالإنسان لا يكلفه فوق طاقته ولا يشرع له إلا ما يجلب له المصالح ويدفع عنه المضار والمفاسد، حكيما لا يشرع للإنسان إلا ما يحتاج إليه ولا يطالبه بما هو زائد عن حاجته، ومعنى ذلك أنه لن يكون المحدد إنسانا؛ لأن الإنسان لا ينفك عن الهوى والغرور والظلم والاستئثار وقصور النظر... أما العلم المطلق والحكمة والرحمة... فهي من خصائص الله الذي خلق الإنسان وهو اللطيف الخبير.

ثانيا: دقة المعيار الإلهي في تحديد القيم

قال الله جل جلاله: **{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** [الملك: 14] فالله سبحانه خالق الإنسان، وهو اللطيف الخبير بما يصلح لهذا الإنسان، وبما يُصلحه، فهو أقدر على رعاية حقوقه وتحديد قيمه التي يحتاج إليها، ومعيار الله وميزانه منزه عن العبث والظلم والتمييز بين البشر، يقول الدكتور إسماعيل الفاروقي: "وميزان العدل الإلهي هو الذروة المطلقة في الدقة والكمال"[5] وتحديده للقيم يجعل كل إنسان آمنا مطمئنا لا يخاف ظلما ولا هضما؛ لأن ما جعله الله قيما فهو حقا من القيم لا ريب فيه، وفي ذلك "إقرار بأن الحقيقة قابلة لأن تعرف، وأن بوسع الإنسان أن يصل إليها"[6] بخلاف ما حدده الإنسان من غير اعتماد على معيار الله، أو عرض له عليه، فلا بد من التساؤل حوله: "هل ما يُدعى أنه قيمة هو قيمة بحق؟"[7] وهذا ما يقودنا إلى القول بنسبية القيم، وحينها تدخل الإنسانية في خبط وعشوائية لا نهاية لهما، ويرى المفسد نفسه مصلحا مع أنه هو المفسد ولا يشعر، ويرى السفيه السفهَ في غيره، وهو السفيه ولا يعلم، "فالإنسان حر في اختيار قيمه ما دام يحقق وجوده كما يرى الوجوديون، والقيم متغيرة لا ثبات لها كما يرى البراجماتيون، وهذه النظرة جعلت القيم فضفاضة لا معيار لها من صلاح أو فساد، أو قبول ورد، حتى تلك القيم التي قد تظن أن لا خلاف حولها: كالإيمان، والزواج، والمال، والحق، والخير"[8].

ولا نجاة من هذا الخبط والعشوائية إلا بإسناد أمر القيم إلى معيار صاحب الخلق والأمر، وذلك بالإيمان بالله الذي "يقتضي التسليم بأن مشرع القيم بما تحوي من الخير، وبما تحارب من الشر، هو الله سبحانه وتعالى، خالق الإنسان والعالم به"[9].

المطلب الثاني: مصدر القيم الإنسانية بين الفطرة والشرع

خلق الله الإنسان واستخلفه في الأرض، وأمده بكل ما يحتاج إليه ليكون بحق خليفة في الأرض كما أراد الله سبحانه، فطره على الفطرة السوية التي تحبب إليه قيم الحق والخير والجمال، وتبغض إليه الباطل والشر والقبح، ثم أرسل إليه رسلا جاؤوه بشرائع تبين له وتفصل ما يتفرع عن تلك القيم الكبرى، فإذا طمس الإنسان فطرته وشوهها، وأعرض عن شرع الله، ضل وتاه ولم يعد لتلك القيم وما يتفرع عنها قيمة ومعنى؛ إذ –كما يقول روجيه جارودي – "ليس للحياة معنى إلا بالاعتقاد في وجود إله"[10].

---

[5] التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة: د. إسماعيل راجي الفاروقي: 50.

[6] نفسه: 99.

[7] التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة: د. إسماعيل راجي الفاروقي: 99.

[8] تعلم القيم وتعليمها: د. ماجد زكي الجلاد: 56.

[9] نفسه: 59.

[10] حفارو القبور: روجيه جارودي: 11.

أولا: تحديد الفطرة السليمة للقيم الأصلية الكبرى

إن الله هو ممد الإنسان بالمعيار الذي يميز به بين الخير والشر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، والعاقل من الناس "يرى بغير لبسٍ، أن الله تعالى وحده، وليس الطبيعة ولا أي مخلوق، هو مصدر إمداده بالمعيار"[11]، وإن أساس هذا المعيار هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، والفطرة كما عرفها العلامة الطاهر بن عاشور: "الفطرة: الخِلقة، أي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، ففطرة الإنسان هي ما فطر، أي خُلق عليه الإنسان ظاهراً وباطناً، أي: جسداً وعقلاً"[12]، فالفطرة الباطنية المختصة بالعقل، أو الذاكرة الغيبية[13] تحدد للإنسان أصول القيم التي يشهد كل الناس بجمالها، أو يشهد به أكثرهم، أو الفضلاء منهم[14]، بخلاف من اختار أن يرد إلى أسفل سافلين، إذ إن من معاني التقويم في قوله تعالى **{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}** [التين: 4]: "تقويم العقل الذي هو مصدر العقائد الحقة والأعمال الصالحة، وأن المراد برده أسفل سافلين انتقال الناس إلى اكتساب الرذائل بالعقائد الباطلة والأعمال الذميمة"[15].

ثانيا: تأكيد الشرع لما حددته الفطرة من القيم الكبرى، وتشريعه للقيم الفرعية وحكمه فيها

إن الفطرة التي فطر الله الناس عليها محدد لأصول القيم المتفق عليها بين البشر؛ لأنها "صالحة لصدور الفضائل عنها"[16]، إلا أنها غير مأمونة عند بعض الناس من التبديل والتغيير والانحراف "بسبب عوارض عرضت للبشر، مثل: العوائد الفاسدة المألوفة، ودعوة أهل الضلالات إليها"[17]؛ ولذلك أنزل الله الشرع موافقا لها ومؤكدا لما يصدر عنها، ودعا إلى الحفاظ عليها.

ثم إن الناس في حاجة إلى قيم أخرى تتفرع عن تلك القيم الأصول، وهذه القيم الفرعية موضع اختلاف بين الناس اعتبارا وتنزيلا، وكثيرا ما تقف الفطرة أمام هذه القيم غير معتبرة ولا منكرة؛ إذ "لو تركت الفطرةُ وشأنَها لما شهدت بها ولا بضدها"[18]، ومن ثم جاء الشرع تأكيدا وتكميلا وتتميما وحكما، فهو مؤكد لأصول القيم التي تشهد بها الفطرة السوية، ومتمم ومكمل بتشريع فروع تلك القيم، وحَكَمٌ فيما اختلف فيه الناس من قيم.

المطلب الثالث: تقبل القيم وتمثلها بين سلامة العقيدة وانتفائها

يؤكد الفيلسوف علي عزت بيجوبيتش أن لا قيمَ أخلاقيةً ثابتةٌ بدون دين قائلا: "لا يمكن بناء الأخلاق إلا على الدين..؛ فالأخلاق إنما هي دين تحول إلى قواعد للسلوك، يعني تحول إلى مواقف إنسانية تجاه الآخرين وفقا لحقيقة الوجود الإلهي"[19]، ونفس الأمر ينطبق على جميع القيم، فالإنسان لا يمكن أن يتقبل القيم على أنها قيم إلا بعقيدة تصورها له قيما، ولا يتحلى الإنسان بتلك القيم إلا إذا كانت عقيدته عقيدة راسخة تدفعه إلى تمثلها، ولذلك كانت العقيدة "أول ما دعا إليه الرسول، وطلب من الناس الإيمان به في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة"[20].

---

[11] التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة: د. إسماعيل راجي الفاروقي: 58.

[12] مقاصد الشريعة الإسلامية: الطاهر بن عاشور: 261.

[13] هكذا عبر عنها الفيلسوف طه عبد الرحمن "باعتبارها تحفظ ذكريات –لا كالذكريات– عن أفعال وأحداث حصلت في العالم الغيبي قبل خروجه إلى العالم المرئي" روح الدين: من ضيق العَلمانية إلى سَعة الائتمانية: طه عبد الرحمن: 510.

[14] ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: الطاهر بن عاشور: 262، نقلا عن ابن سينا في كتابه: "النجاة في الحكمة الإلهية".

[15] مقاصد الشريعة الإسلامية: الطاهر بن عاشور: 264.

[16] نفسه: 264.

[17] نفسه: 263.

[18] نفسه: 264.

[19] الإسلام بين الشرق والغرب: علي عزت بيجوبيتش: 193.

[20] الإسلام عقيدة وشريعة: محمود شلتوت: 10.

والمتدبر للقرآن الكريم يجد أن كثيرا من القيم والأعمال الصالحة إنما طولب بها المؤمنون بسبب إيمانهم، وأن كثيرا من القيم انتفت عن أقوام بسبب عدم إيمانهم، وأن كثيرا من القيم عوتب المؤمنون على عدم التحلي بها لأن إيمانهم يقتضي وجودها فيهم.

أولا: توقف تقبل القيم على أساس العقيدة السليمة

إن الإنسان الذي لا يؤمن بالله –إذا جمع مع انتفاء الإيمان انتكاس الفطرة، ورُد إلى أسفل سافلين– لا يمكن أن يتقبل القيم الفطرية الأصلية بله القيم الفرعية المختلَف فيها، تلك التي يُرد حكمها إلى شرع الله سبحانه، ومن ثم كان أساس قبول القيم الإنسانية قبولا تاما: الإيمانُ بالله تعالى؛ ليحافظ الإنسان على فطرة الله التي فطره عليها، ولا يمسها بسوء، ولا يعرضها للتبديل والمسخ والانحراف، حينها يكون مهيأ لقبول تلك القيم والاعتراف بأنها قيم، ويُحكم شرع الله في القيم الفرعية المختلف فيها، ولا يجد في نفسه حرجا من قضائه، ويسلم تسليما.

والإنسان في معزل عن هذه العقيدة إما أن يغلو ويعتبر نفسه مركز الكون، أو ينظر إلى نفسه نظرة تحقير وتبخيس؛ "فالإيمان بالله والارتباط به والانتساب إليه، يُثبت للإنسان كرامته ورفعته ويعطيه عزته وطمأنينته وسعادته.. وأما ضده –مِن كفرٍ وشرك وإلحاد– فيفقده كل هذه المكتسبات ويعطيه أضدادها"[21] وما ذلك إلا لأن الاعتراف بهذه القيم مشروط بالاعتراف بالفطرة، والاعتراف بالفطرة مشروط بالإيمان بالله جل جلاله، فإذا تحققت هذه الشروط لم يكن من المؤمن إلا القبول والاستجابة، ولم تره إلا مصغيا لله يخاطبه بـ"**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا**" وهو على يقين تام أنه لا يأمره إلا بخير، ولا ينهاه إلا عن شر، وأنه لا يدعوه إلا لما يحييه.

ثانيا: توقف التحلي بالقيم على تأثير العقيدة السليمة

إن التحلي بالقيم لا ينشأ من فراغ، بل يقوم على أساس اعتقادي تصوري[22]، فالعقيدة هي الدافع الأساس والباعث الحثيث على التحلي بالقيم الإنسانية والالتزام بها[23]، والعقيدة الإسلامية عقيدة حية، خاصة إذا تلقاها المسلم كما ينبغي، يقول الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله: "إن العقيدة الإسلامية لم تكن في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية، إلا لمسةً تربوية ذات أثر روحي عميق على الوجدان والسلوك"[24]، فلا يتصور من المؤمن الذي بلغ حقيقة الإيمان أن يتلقى بالقبول القيم الإنسانية التي دلت عليها الفطرة وأكدها الشرع، والقيم التي جاء بها الشرع، ثم ترى بونا بين سلوكه واعتقاده، وذلك لأن "الإيمان يجعل صاحبه متجها ومنجذبا إلى ما آمن به"[25].

ومما يميز هذه العقيدة أنها تحقق للقيم قيمتها الجزائية والإلزامية بعيدا عن الرغبة في حصول المصالح الشخصية، والرهبة من بطش السلطة والعقوبات القانونية؛ "فتعاليم الإسلام كلها خير، أمر بمعروف ونهي عن منكر، والتزامها ينبع من الذات الإنسانية حيث الشعور بالرقابة الإلهية العليا، ومسؤولية الجزاء الأخروي لكل ما يصدر عن الإنسان"[26].

---

[21] الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية: د. أحمد الريسوني: 62.

[22] يقول الدكتور ماجد زكي الجلاد: "تقرر أن السلوك الإنساني لا ينبعث من فراغ بل يقوم على قاعدة راسخة ثابتة من المعتقدات المعرفية والوجدانية تشكل الدافع لما يصدر عن الإنسان من أنماط السلوك ممثلة في الأقوال والأفعال، وبذلك يكون السلوك القيمي جزءا مهما يعبر عن جوهر الإيمان ومدى عمقه في النفس والعقل والقلب، ويكون مبعث القيم ودوافع التزامها أمرا كامنا في الإيمان" تعلم القيم وتعليمها: ماجد زكي الجلاد: 57.

[23] قلت: ولا يضر هذه المسَلَّمَة أن هناك من يلتزم بالقيم وليس له عقيدة أو في عقيدته خلل؛ لأن الإنسان قد يتحلى ببعض القيم الطبيعية والنفعية والوسائلية؛ بسبب ما تحتمه عليه مصلحته، أو بسبب سلامة فطرته وإن أنكر الفطرة، ولكن التحلي بالقيم الأخلاقية لا يكون على وجهه التام إلا إذا دفعت إليه عقيدة راسخة تربط قلب الإنسان بالله سبحانه، وتجعل جميع أعماله خالصة لوجهه.

[24] جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح: د. فريد الأنصاري: 63.

[25] الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية: د. أحمد الريسوني: 62.

[26] تعلم القيم وتعليمها: د. ماجد زكي الجلاد: 59.

والتاريخ خير شاهد على كون هذه العقيدة أقوى دافع إلى التحلي بالقيم "وقد كان المسلمون عندما يتلقونها بعباراتها القرآنية الجليلة، يتفاعلون معها تفاعلا عجيبا..؛ ولذلك حقق الله بهم المعجزات في الحضارة والتاريخ"[27]، فأخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وصار رعاة الغنم قادة للأمم، "فانقلبت نفسيتهم بهذا الإيمان الواسع العميق الواضح انقلابا عجيبا، فإذا آمن أحد بالله وشهد أن لا إله إلا الله انقلبت حياته ظهرا لبطن... وظهر منه من روائع الإيمان واليقين والصبر والشجاعة ومن خوارق الأفعال والأخلاق ما حير العقل والفلسفة وتاريخ الأخلاق... وكان هذا الإيمان مدرسة خلقية وتربية نفسية تملي على صاحبها الفضائل الخلقية من صرامة إرادة وقوة نفس ومحاسبتها والإنصاف منها، وكان أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية"[28]

وإذا رأيت بونا بين عقيدة المسلم وبين قيمه؛ فما ذلك إلا لجهل منه بعقيدته أو خلل فيها، وهو بذلك مستحق للتوبيخ الذي وبخ الله به بني إسرائيل حين خالف سلوكهم إيمانهم: **{قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ}** [البقرة: 93].

المبحث الثاني: أثر العقيدة الإسلامية في التنمية القيمية

بعد أن تبين أن العقيدة الإسلامية أساس تقبل القيم الإنسانية، ودافع قوي إلى تمثلها والتحلي بها، وعدم التخلي عنها، سأبين أثر هذه العقيدة في تنمية القيم، من خلال عرض نماذج للقيم التي تنميها.

المطلب الأول: الإيمان بالغيب

قبل الحديث عن القيم الإنسانية التي تنميها أركان العقيدة الإسلامية، أنطلق من بعض القيم التي ينميها الركن التصوري لهذه العقيدة العظيمة، ألا وهو مبدأ الإيمان بالغيب باعتباره الأساس التصوري الذي تقوم عليه[29]، وهو أهم أسباب عظمتها وحيويتها واتساع آفاق التنمية القيمية التي تفتحها أمام الإنسان.

أولا: الوسطية والاعتدال

فالمؤمن بالغيب ليس منحصرا في الماديات وليس عبدا للمحسوسات، كما أن إيمانه بالغيب يمنعه من سيطرة الأوهام والخرافات والأساطير على عقله، فهو وسط بين منكر للغيب يكتفي بما عنده من علمه الظاهر عن الحياة الدنيا ويعده علما ويظن نفسه متحكما في الوجود، وبين غارق في تفسير الظواهر الكونية بالأوهام والخرافات.

فهو يعلم أن للظواهر الكونية والأحداث الطبيعية أسبابا مادية وسننا كونية، وفي نفس الوقت لا يغفل عن مسبب تلك الأسباب، ومقنن تلك السنن، وليس كالذين قال الله تعالى فيهم: **{يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}** [الروم: 7]، والذين قال فيهم: **{وَإِن يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ}** [الطور: 44]"، كما أنه لا يفسر الظواهر الكونية بتفسيرات خرافية، كالقائلين: **"انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَوْتِ إِبْرَاهِيمَ"**[30]، وإنما يعلم أن كل شيء في الكون آية من آيات الله له سننه التي تحكمه.

فالإيمان بالغيب حصن للإنسان من الغلو والتطرف فكرا وسلوكا، وحرز منيع له ولعقله من الذلة والمهانة.

---

[27] جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح: د. فريد الأنصاري: 63.

[28] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي: 86-87 بتصرف.

[29] ينظر: جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح: د. فريد الأنصاري: 127.

[30] مسند الحميدي: أحاديث أبي مسعود الأنصاري، الحديث 460.

ثانيا: الأمن النفسي

إن الإيمان بالغيب يبطل مسلمة قصور الوجود الإنساني[31] عند الماديين، ويفتح الآفاق أمام المؤمن، ويضعه في فضاء نفسي واسع ممتد، لا ينحصر في عالم ضيق ينتهي عند حدود نظره الإدراكي، وتنتهي المتعة فيه بموته وحلول أجله، فتراه مطمئن النفس، واسع النظر، مستوعبا لسنن ما يجري في الكون، بخلاف المنكر للغيب الذي يريد التهام كل شيء، ويريد الشر والعذاب لغيره؛ لأنه لا يؤمن إلا بما تراه عينه، ويعتبر الموت قاطعا نهائيا لحياته وكل متعه ولذاته.

فما أسعد من نعِم بالإيمان بالغيب "الذي يملأ حياة العبد العامل أملا، ويغمر وجدانه حياة متدفقة أبدا..! لا يحدها أجل، ولا تقطعها وفاة"[32].

ثالثا: تحمل المسؤولية

إن المؤمن بالغيب يرى أن هذه الحياة الدنيا ليست إلا قنطرة إلى الحياة الحقيقية، ويعتقد أنه في امتحان في هذه الدنيا، وهو ما يحمله على أن يقدم لحياته، ويدفعه لتحمل مسؤوليته، والقيام بأعماله المطلوبة منه، سواء أخذ على ذلك أجرا دنيويا أم لم يأخذه، سواء تمت مراقبته أو لم تتم، بخلاف منكر الغيب الذي يظن أن حياته هي الحياة الدنيا، وأن الموت نهاية لحياته، فلا بأس عنده إن لم يؤد واجبه ولم يتحمل مسؤوليته متى أفلت من المراقبة البشرية أو الإلكترونية، ونجا من العقاب الدنيوي.

رابعا: الصلاح والإصلاح

يدفع الإيمان بالغيب المؤمن إلى تحمل مسؤوليته والقيام بواجبه في هذه الحياة التي منحت له، وإنما واجبه أن يعمل العمل الصالح، ومسؤوليته أن يحفظ النظام في هذه الأرض ويحرس الفضيلة، فإيمانه بالغيب لا يتركه حتى يجعل منه إنسانا صالحا مصلحا، وحينها "لا يسع الفاعل الديني إلا أن يرى في هذا الارتقاء الموهوب إناطة بمزيد المسؤولية وتحمل الأمانة، فينهض، غير متردد ولا متأفف، إلى الاشتغال بأسباب العالم المرئي، مجتهدا بقوله وفعله، في دفع المفاسد والآفات وتحويل الضمائر والقلوب وإصلاح التعامل والسلوك، منزلا المثال الغيبي على الواقع المرئي"[33].

المطلب الثاني : أثر الإيمان بالله في التنمية القيمية

أولا: الحرية

إن الحرية قيمة فطرية من أصول القيم، وكل إنسان ميال إليها باحث عنها بفطرته، لا يحب لنفسه الخضوع ولا يرضى بتحكم غيره فيه، ولكن الإنسان مخلوق ومربوب وعبد، وليس خالقا وربا وإلها، وكل إنسان يحس من نفسه هذه الحقيقة الكبرى، وليس في مقدوره إنكارها[34]، ومن العبث والخروج عن طبيعته بحثه عن حرية مطلقة رسمها له خياله أو رسمها له غيره، فالإنسان عبد شاء أم أبى، وهو بين عبوديتين، كلما هرب وتحرر من إحداهما وقع في الأخرى، فهروبه من العبودية لله يعني وقوعه في ظلمات العبودية لنفسه أو لغيره، وسقوطه في شرك الاستعباد لغيره، إلى أن يؤول أمره إلى اليأس والقنوط والكآبة الوجودية، وربما الانتحار، كما أن هروبه من العبودية لنفسه ولغيره اهتداء إلى نور العبودية لله.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي عما توصل إليه الباحثون عن الحرية المطلقة: "إنهم لم يزيدوا على أن جعلوا من الحرية أداة استعباد للآخرين، وجعلوا من التمرد على القيود قيودا وأغلالا صفدوا بها أيدي الناس وأعناقهم... وهكذا، كان لا بد أن يكون الخروج من سلطان العبودية لله، دخولا في باب عريض من استعباد الناس بعضهم لبعض، ثم انطلاقا حثيثا لاهثا في طريق من التسابق الدامي على نيل الحظوظ

---

[31] ينظر: روح الدين: من ضيق العَلمانية إلى سَعة الائتمانية: د. طه عبد الرحمن: 31، فقد فصل في إبطال هذه الدعوى.

[32] جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح: د. فريد الأنصاري: 169.

[33] روح الدين: من ضيق العَلمانية إلى سَعة الائتمانية، د. طه عبد الرحمن: 46.

[34] ينظر: النور المبين في قواعد عقائد الدين، ابن جزي الغرناطي (ت741هـ): 36.

وعروش القهر والعدوان"[35]، ويزيد وصف حالهم إيضاحا فيقول: "لقد تسابقوا إلى الحرية... فطمع كل منهم أن يصبح سيدا ومتنفذا[36]، ثم كانت نهاية تسابقهم وبحثهم أن "أوصلهم إلى ما يسمونه هم أنفسهم بالقلق واليأس والسقوط"[37].

ومن ثم لم يكن بد للإنسان من اللجوء إلى باب العبودية الذي يحرره من جميع الأغلال، ويرفع عنه كل القيود والآصار، وليس ذلك إلا باب العبودية لله الذي خلقه، وفي يده رزقه وحياته وموته وكل أمره، من أجل ذلك لم يجد الإسلام حرجا أن "يواجه الإنسان بواقع عبوديته الحتمية لله عز وجل، ليفتح أمامه بذلك آفاق التحرر من آصار العبودية للآخرين، وليصده في الوقت ذاته عن استعباد من قد يكون حوله من المستضعفين"[38].

فالإيمان بالله والعبودية له وحده هي التي تجعل من الإنسان إنسانا حرا وتتفرع عن هذه القيمة قيم كثيرة منها تحليه بالعزة والشرف والكرامة والعفة والأنفة والشجاعة والتضحية[39]، فلا تستعبده أهواؤه وشهواته، ولا يستعبده ماضيه ولا حاضره ولا مستقبله، ولا تستعبده إنجازاته، ولا يستعبده ماله، ولا يستعبده إنسان مثله، ولا يستعبده مجتمعه وعاداته وتقاليده، ولا يستعبده حيوان ولا جماد، ولا تستعبده الأساطير والأوهام، ولا يسعى لاستعباد غيره وقهره، وأنى له أن ينزل عن درجات التشريف إلى تلك الدركات وهو يسمع ويردد في كل يوم نداء الحرية الحقيقية: "الله أكبر" الذي يحرر الإنسان من كل أنواع العبودية الدنيئة.

إن الإيمان بالله هو منبع الحرية الحقيقية التي يسعد بها صاحبها ويعلو ويسمو ويعز، لا الحرية المتوهمة التي يشقى بها صاحبها ويذل أمام نفسه وشهواته وماله قبل أن يذل أمام غيره، تلك الحرية التي جعلت من المستضعفين المطرودين أولي أنفة وعزة لا تسقط أرضا أبدا، "فإذا نظروا إلى الملوك وحشمتهم وما هم فيه من ترف ونعيم وزينة وزخرف، فكأنهم ينظرون إلى صور ودمى قد كسيت ملابس الإنسان.

عن أبي موسى قال: انتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن يساره والقسيسون جلوس سماطين، وقد قال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك، فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله"[40].

ثانيا: المساواة

إن الإيمان بالله تعالى يعني الإيمان بوحدة الأصل البشري، وإذا كان أصل الشجرة واحدا فلا معنى للمفاضلة بين فروعها وأغصانها من حيث المظاهر الخارجية، وكذلك البشر، لما كان أصلهم واحدا، كما أخبرنا الله سبحانه: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** [الحجرات: 13] لم يكن هناك معنى للمفاضلة بين ذرية ذلك الأصل من حيث الجنس واللون واللغة والعرق والبلد... ولذلك كان مبدأ المساواة "من بدهيات، بل من ضروريات المبادئ الإسلامية التي يأخذ بها الإسلام المجتمع الإسلامي بحزم... بحكم أنهم جميعا متساوون في الإنسانية ينحدرون من سلالة واحدة، فما ينبغي أن ينتقص من سلطان هذه المساواة فارق عرق أو لغة أو أي قيمة اجتماعية كغنى وفقر أو كتمتع بسلطة ما"[41].

---

[35] الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية: د. محمد سعيد رمضان البوطي: 19.

[36] حرية الإنسان في ظل عبوديته لله: د. محمد سعيد رمضان البوطي: 27.

[37] الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية: د. محمد سعيد رمضان البوطي: 19.

[38] حرية الإنسان في ظل عبوديته لله: د. محمد سعيد رمضان البوطي: 26.

[39] ينظر: روح الدين الإسلامي: عفيف عبد الفتاح طبارة، 94.

[40] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي: 89.

[41] الله أم الإنسان، أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان: محمد سعيد رمضان البوطي: 21.

فهذا الإيمان والارتباط بالله خالق الناس جميعا يمنع المؤمن من تحقير وانتقاص أي إنسان على أساس من الأسس المذكورة؛ إذ ليست من كسبه ولا اختياره، وليس فيها ما يدعو إلى التحقير والتمييز، وذلك ما جعل الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي يعلن: "أن التمييز بين إنسان وإنسان مستحيل في ظل الإسلام"[42].

ثم إن معيار التفاضل عند الله هو العلم والحكمة والتقوى والفضيلة والاستقامة والعمل الصالح والإصلاح والإخلاص والثبات على هذه القيم[43]، وذلك ما يدفع إلى المسابقة والمسارعة إلى التحلي بها؛ لأن الإسلام "أعلن مبدأ المساواة البشرية في لفظ صريح مفهوم ليست فوقه صراحة وليس فيه تحفظ، وجعل التفاضل بالتقوى والفضائل المعنوية فقط"[44].

ثالثا: التعارف والتعايش

إن اختلاف القبائل والشعوب والأعراق ليس مدعاة إلى التنافر والتفاخر والحروب، وإنما هو مدعاة إلى التعارف والتآلف، وذلك ما يدفع إليه الإيمان بالله سبحانه الذي خلق البشر جميعا، وجعلهم مختلفين في أمور ظاهرية لا تؤثر في تساويهم في الإنسانية، قال سبحانه: **{وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}** [الحجرات: 13]، قال ابن جزي رحمه الله في تفسير الآية: "ومقصود الآية: التسوية بين الناس، والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب إنما هو بالتقوى... ومعنى "لتعارفوا" ليعرف بعضكم بعضا"[45].

كما أن اختلاف الألسنة والألوان ليس مدعاة إلى التنافر والتباعد والتباغض والتنازع، وليس مبررا للاضطهاد والمحاربة والإقصاء، بل هو دليل على عظمة الله سبحانه وآية من أجل الآيات على قدرته وحكمته، قال الله سبحانه: **{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ}** [الروم: 22]، فالإيمان بأن هذا الاختلاف مصدره الله سبحانه، وأنه دال عليه معرف على عظمته، يرفع عن المؤمن الحرج والضيق، ويدفعه إلى الانفتاح والاكتشاف، وهو ما ينمي قيمة التعارف والتعايش مع المختلف عنه، ومن ثم يحصل التعاون والتكافل.

يقول الشيخ أبو زهرة: "ولقد صرح القرآن الكريم بأن الناس أمة واحدة وإن اختلاف الألوان والأجناس واللغات لا يقتضي التفاوت في معنى الإنسانية وحقوقها، بل الجميع سواء، وما كان الاختلاف إلا للتعارف"[46]، ومن ظواهر التعارف الذي ينتج عن هذا الاختلاف: "الأولى: اللقاء على مودة وتراحم وسلام... والثانية: التعاون على أن ينتفع الإنسان بكل خيرات الأرض..."[47]

رابعا: الأخوة الإيمانية

يجمع الإيمان بالله المؤمنين تحت ظل الأخوة الإيمانية، وينمي هذه القيمة حتى يصير المؤمنون جسدا واحدا، فتتفرع عن هذه القيمة قيم كثيرة منها المحبة، فترى المؤمن محبا لأخيه المؤمن لا يحبه إلا لله، وليس له من تلك المحبة قصد نيل أجر أو شفاعة، وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في هذه المحبة في علاقتهم مع المهاجرين، فخلد الله سبحانه هذه القيمة العظيمة بقوله عنهم: **{يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ}** [الحشر: 9].

كما برع التابعون لهم بإحسان في قيمة محبة الخير للمؤمن، فكانوا يدعون لهم بما يدعون به لأنفسهم، قال سبحانه **{وَالَّذِينَ جَاؤُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ}** [الحشر: 10].

---

[42] التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة: إسماعيل راجي الفاروقي: 174.

[43] ينظر: التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة: إسماعيل راجي الفاروقي: 150.

[44] الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية: أبو الحسن الندوي: 38.

[45] التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي الغرناطي، 4/181و182.

[46] تنظيم الإسلام للمجتمع: محمد أبو زهرة: 140.

[47] المجتمع الإنساني في ظل الإسلام: محمد أبو زهرة: 51.

وفي الحديث النبوي الشريف "**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**"[48] وذلك ما تقتضيه الأخوة الإيمانية.

وتتفرع عنها أيضا قيمة التكافل الاجتماعي والتعاون، يقول الدكتور راغب السرجاني: "وقبل أن يأمر الإسلام بالتكافل وإغاثة الملهوفين، وضع لهم الأساس الفكري لقيمة التكافل، فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**"[49][50]، وهل يتحقق مثل هذا التكافل الذي يجعل المجتمع جسدا واحدا بدون أساس العقيدة، أعني الإيمان بالله الذي يربط المؤمن بأخيه المؤمن برباط قوي؛ فيعتبر نفسه مع أخيه المؤمن جزءا من أمة واحدة، يفرح لفرح كل فرد من أفرادها، ويحزن لحزنه، ويتألم لألمه.

كما تتفرع عنها أيضا قيمة الرحمة، ولذلك خُتم قوله تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** [الحجرات: 10] بذكر الرحمة؛ لأن "شأن تعامل الإخوة الرحمة فيكون الجزاء عليها من جنسها"[51].

خامسا: الأخوة الدينية والأخوة الإنسانية

أعني بالأخوة الدينية الرابطة التي تجمع المسلمين مع أهل الكتاب وأتباع شرائع الأنبياء، ومعلوم من الشرع وأحكامه أن التعامل مع الكتابي مختلف عن التعامل مع الوثني والجاحد، فقد خصهم الإسلام بأحكام لم يشرعها لغيرهم ما لم يكونوا محاربين ومعتدين، فأباح زواج المسلم من حرائرهم، وأباح تناول طعامهم... وهو ما تتفرع عنه قيم التعارف والتعاون والرحمة والتكافل الاجتماعي والأمن والسلم.

وأعني بالأخوة الإنسانية الرابطة التي تجمع جميع البشر باعتبارهم من أصل واحد، كما قال الله سبحانه: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً}** [النساء: 1]، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: "**النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ**"[52]، فهذه العقيدة تربط المؤمن بجميع البشر وتضع له منهج التعامل معهم شريطة ألا يكونوا معتدين ومحاربين، وذلك ما يوجب التواصل والتعارف والتعاون والبر والرحمة والقسط، ويبطل التمييز بين الناس على أساس اللون والعرق واللغة والبلد.

فأي عقيدة تستطيع أن تجمع البشر تحت ظل هذه القيم بالرغم من اختلافاتهم الشديدة، تلك الاختلافات التي يحسبها من لا يؤمن أن الله خالق الجميع مدعاة للتنازع والمحاربة والتسابق نحو استعباد الغير والسيطرة عليه؟ إنها العقيدة التي ترى الكرامة لجميع بني آدم، وتؤمن أنهم جميعا لله وأنهم راجعون إليه، وعن يقول الدكتور راغب السرجاني: "إن النفس الإنسانية بصفة عامة مكرمة ومعظمة.. وهذا الأمر على إطلاقه، وليس فيه استثناء بسبب لون أو جنس أو دين، قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}** [الإسراء: 70] وهذا التكريم عام وشامل، وهو يلقي بظلاله على المسلمين وغير المسلمين.."[53].

ولذلك لا يعجب المسلم حينما يجد تلك المعاملة الراقية الرحيمة في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع غير المسلمين، ولا يعجب حينما يجد آثارها في تاريخ المسلمين وحروبهم أيضا، إنما هي تلك العقيدة التي تربط المؤمن بالله، وتذكره بأن الناس جميعا خلق الله سبحانه، هي التي ألقت بظلالها على طريقة تعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم بإحسان، وكيف لا يكونون كذلك ومن أراد منهم

---

[48] صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، الحديث 13.

[49] صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الحديث 2586.

[50] رحماء بينهم قصة التكافل والإغاثة في الحضارة الإسلامية: د. راغب السرجاني: 24.

[51] التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، 245/26.

[52] سنن الترمذي: أبواب المناقب، الحديث 3955.

[53] رحماء بينهم قصة التكافل والإغاثة في الحضارة الإسلامية: د. راغب السرجاني: 15.

أن يبلغ الذروة من عقيدته لزمه أن يحب للناس جميعا ما يحبه لنفسه، قال لنبي صلى الله عليه وسلم: "**لَا يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ**"[54].

سادسا: الأخوة الخَلقية

إن الإيمان بالله يتجاوز بالمؤمن الأخوة مع بني الإنسان إلى الأخوة مع جميع المخلوقات، الحي منها وغير الحي، فكل ذلك من خلق الله الذي يدل على عظمته ويعرف الإنسان بقدرة ربه وبحكمته ووحدانيته، ويتفرع عن هذه القيمة الكبرى قيم أخرى على رأسها الرفق والرحمة والإغاثة والرعاية لجميع المخلوقات، وكيف لا يتعامل معها المؤمن بالرحمة وعقيدتُه تملي عليه: **{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}** [الأنعام: 38]، وتجعل نيل رحمة الله مشروطا برحمته لمخلوقات الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**"[55].

سابعا: الصلاح والإصلاح

إن الإيمان بالله يقيم الإنسان في المقام المناسب له الذي يليق به؛ إذ يعلم أن المركزية في الكون لله سبحانه، وأن الإنسان مخلوق من مخلوقاته، كرمه الله وفضله وميزه عن غيره من المخلوقات، والقصد من هذا التكريم والتفضيل أن يكون خليفة لله في الأرض، قال سبحانه: **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}** [البقرة: 30]، ومبدأ الاستخلاف هذا يقتضي من الإنسان أن يقوم بواجبه في هذه الأرض بالعمل الصالح، ويقتضي منه تحمل مسؤوليته في الحفاظ على هذه الأرض وما فيها من خيرات ويحرس فيها الحق والخير والمعروف والفضيلة، ويحارب الباطل والشر والمنكر والرذيلة، ويحكم فيها بالقسط، وتتفرع عن هاتين القيمتين كل القيم النبيلة التي يدفع إليها الإيمان بالله سبحانه من أمانة وصدق وعفة ووفاء بالعهد...

يقول عفيف عبد الفتاح طبارة عن روح هذا الإيمان: "فالإيمان بالله يطلق النفس من قيودها المادية، فتتعالى على الشهوات ولا تبالي بالمنافع والمضار الخاصة، فيسعى الإنسان لنفسه ولأمته وللناس جميعا ضمن قوانين العامة وسنن الخير الشاملة. فكل ما في الإنسان من خير ونبل وتضحية وإيثار وإنكار للذات مستمد من إيمانه بالله"[56].

ومن تدبر القرآن الكريم وجد الإيمان مقرونا بالعامل الصالح، فهو ثمرته التي لا تنفك عنه؛ إذ الإيمان كلما كان راسخا وثابتا وصادقا دعا صاحبه إلى الخير وحمله على التحلي بالفضائل والمكارم.

وإن هذا الإيمان يعرف الإنسان بالغاية من خلقه وخلق ما في هذا الكون من مخلوقات، ويعرفه بطريقة التعامل معها؛ إذ يعلم أن ما في الأرض مسخر للإنسان، قال سبحانه: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً}** [البقرة: 29] فينطلق من هذا المنطلق ليكتشف هذا الكون ويستفيد منه على قدر حاجته، ويترك لإخوانه من بني البشر الذي سيأتون من بعده نصيبهم، ومرشده في ذلك كله قول الله سبحانه: **{وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا}** [الأعراف: 56].

وانظر إلى من حرم هذا الإيمان كيف جاءت أعماله موافقة لعقيدته، فأفسد في الأرض وأهلك الحرث والنسل ومنع الخير، وقهر اليتيم ولم يحض على طعام المسكين... وتلك نتيجة حتمية لغياب الإيمان بالله سبحانه: **{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3)}** [الماعون: 1-3]، فهل يستوي هذا ومن يحسن إلى أعدائه بله من لا يعاديه، ودافعه إلى ذلك

---

[54] صحيح ابن حِبَّان: كتاب الإيمان، باب ما جاء في صفات المؤمنين، الحديث235.

[55] سنن الترمذي: أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، الحديث 1924.

[56] روح الدين الإسلامي: عفيف عبد الفتاح طبارة: 175.

إيمانه بالله، ولا يبتغي ممن أحسن إليه أجرا ولا شكرا: **{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً (9)}** [الإنسان: 8-9].

ثامنا: الإتقان وتحمل المسؤولية

مهما تمت مراقبة الإنسان للإنسان مراقبة حراسة أو مراقبة إلكترونية، ومهما تم تهديده بالعقوبات القانونية؛ فإنه إذا لم يكن مخلصا في أدائه لعمله، لا بد أن يجد من المراقب البشري غفلة، ومن المراقب الإلكتروني عطلا، ويجد للعقوبة القانونية حيلة، فيأتي بالعمل ناقصا وهو آمن من العواقب الدنيوية، ولكن المؤمن بالله ينتقل من هذه العلاقات الأرضية في أدائه لعمله إلى علاقة سماوية بينه وبين خالقه، ليس فيها غفلة ولا سنة ولا نوم ولا تنطلي عليها حيلة، وإن هذه العلاقة التي تتمثل في الإيمان بالله سبحانه واستحضار مراقبته في جميع الأحوال لتغني المؤمن عن الاهتمام بمن يراقبه أو يعاقبه، فيأتي بأعماله متقنة بلا نقص على حسب استطاعته، وحاديه في ذلك كله قول ربه سبحانه: **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** [الحديد: 4].

يقول الدكتور مصطفى السباعي: "ومما سعى إليه الإسلام تربية ضمير الإنسان تربية تجعله يتعاون مع أبناء مجتمعه على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وهو في تعاونه لا يخشى قانونا قد يعاقبه وقد يفلت منه، ولا حكومة قد تعلم تفريطه وقد لا يبلغها من أمره شيء، وإنما يخشى إلها بصيرا مطلعا عالما بالسرائر... إنه يخشى إلها يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور"[57].

كما أن إيمان المؤمن بأن هذا الكون لم يخلقه خالقه عبثا، ولم يتركه ما فيه من مخلوقات سدى، يدفعه إلى تحمل مسؤوليته لأن "طبيعة الكون غائية، بمعنى أن له غاية خلقه خالقه من أجلها، وهو يؤدي غايته تلك في الحدود المرسومة له، فالكون لم يخلق عبثا ولا على سبيل اللعب"[58]، ولا يمكن أن يؤمن الإنسان بهذه الحقيقة ثم يكون وحده الشارد عنها بترك مسؤولياته ونقض عهده في حمل الأمانة مع أنه المميز بالعقل من بين المخلوقات، المكرم بالتكليف.

تاسعا: الأمن النفسي

لا يمكن أن يكون المخلوق البعيد عن خالقه، المنفصل عن أصله سعيدا، ولا يمكن أن يشعر بالأمن وهو لا يدري من أين أتى؟ ولماذا أتى؟ وإلى أين يذهب؟ تلك حقيقة شاهدها القلق النفسي والكآبة الوجودية والاضطراب الذي يعاني منه من جحد خالقه وأعرض عن ذكره، فيمضي حياته في ألم مستمر، أو ينهيها بألم الانتحار، وفرق كبير بين من يعيش المعيشة الضنك في الدنيا ويحشر يوم القيامة أعمى، وبين من يحييه ربه حياة طيبة ويجزيه يوم القيامة الجزاء الأوفى **{فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (82)}**[59].

فالمؤمن المرتبط بخالقه، يشعر بالأمن لأنه يعلم سبب وجوده والغاية من وجود ومصيره بعد موته، ويعلم أن أمر هذا الوجود في يد خالق عظيم رحيم حكيم، يقول الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي: "من مقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله، الإقرار بأن الله وحده لا شريك له هو الخالق الذي أعطى كل شيء خلقه، وإليه تنتهي أسباب كل ما يحدث في الكون، وإليه مصير كل ما هو كائن، وأنه سبحانه وتعالى هو الأول والآخر"[60] والمؤمن تحت ظل هذه العقيدة العظيمة لا يمكن أن يخاف من ظواهر طبيعية، ولا بشر طاغ متجبر، ولا مستقبل مجهول، ويستحيل أن يخبط في استعمال طاقاته حسبما تدفع إليه غريزته، قد استقام فكره وسلوكه وعمله واطمأنت نفسه بفضل إيمانه بالله، وذلك وعد الله

---

[57] إسلامنا (تعريف موجز): د. مصطفى السباعي: 9-10 بتصرف.

[58] التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة: د. إسماعيل راجي الفاروقي: 53.

[59] الأنعام: 81-82.

[60] التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة: د. إسماعيل راجي الفاروقي: 111.

سبحانه: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [النحل: 97].

وأما البعيد عن الله سبحانه الجاحد له، المنكر لرحمته وحكمته، فهو يعيش معيشة ضنكا كلها شقاء وتعاسة، وكيف لا يصلى جحيم التعاسة وهو منفصل عن أصله، مقطوع عن جذوره، لا يعلم سبب وجوده ولا الغاية منه ولا نهايته، ففكره في عناء، وسلوكه وأعماله خبط في عشواء؛ لأنه لم يجب عن السؤال الأساس في الحياة و"بدون الإجابة عن سؤال الإله تتهاطل أسئلة الحيرة الأبدية"[61] وعدم الإجابة عنها، أو التهرب من الإجابة عنها، أو الإجابة عنها بـ"لا أدري" أو بأجوبة لتبرير الاندفاع وراء الغرائز الحيوانية مدخل إلى شقاء لا نهاية لدركاته "فمن لم يؤمن بالله ويتخذه ملجأ ومعزيا في المصائب ومساعدا في المتاعب كان أشقى الناس في حياته"[62] وتلك سنة الله في كل من حرم نفسه نعيم الإيمان بخالقه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: 124].

وإنما كان الإيمان منجاة من ذلك الجحيم الدنيوي "لأن الإسلام ليس إلا تعريفا للإنسان بقصة هذا الكون كله من حيث هو، وتبصيرا له بمنظوره الكلي الشامل"[63].

عاشرا: الوفاء بالعهد

أي شيء يلزم الإنسان أن يفي بعهده؟ وأي شيء يلزمه أن صادقا في حلفه؟ وأي شيء يلزمه أن يبر بقسمه؟ إن الجواب عن هذه الأسئلة خارج دائرة الإيمان جواب سهل يسير واضح: لا شيء يلزمه بذلك، إلا ما يكون أحيانا من طلب الشهرة والسمعة والخوف من كلام الناس، إلا أن هذه الأمور لا تثبت، وقد تتبدل فيها آراء الناس إذا بدا لهم في نقض عهودهم مصالح أعلى منها، ولكن الأمر مختلف بالنسبة للمؤمن بالله الذي يعبد ربه بأقواله وأفعاله وأحواله، فهو يفضل أن يقتل ولا ينقض عهده، وكيف ينقضه عهده أو يمينه وقد جعل الله سبحانه على ذلك كفيلا، وهل يوافق نقض العهد عقيدته التي تقضي بتعظيم الله جل جلاله وتوقيره.

ولذلك كان نقض العهد علامة من علامات انعدام الإيمان واختلاله، ولذلك علل سبحانه نقض كثير من بني إسرائيل لعهودهم مع الله سبحانه بعدم إيمانهم، فقال: {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} [البقرة: 100]، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم نقض العهد من علامات المنافق، قال عليه الصلاة والسلام: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا – أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ – حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"[64].

حادي عشر: العلم والتعلم

يدفع الإيمان بالله المؤمن قبل الإيمان إلى التفكر واستعمال العقل كي لا يكون إيمانه إيمانا أعمى، قال الله سبحانه: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} [الإسراء: 36]، ويدفعه بعد إيمانه إلى المزيد من التفكر واستعمال العقل كي يُرسخ إيمانه، ويبلغ أعلى المقامات فيه ليؤتي ثمراته، وعقيدة الإسلام عقيدة قابلة للفهم بالعقل والوصول إلى درجة اليقين، وليست ألغازا أو أسرارا يُطلب من المؤمن أن يسلم بها بلا تمحيص ولا سبيل إلى معرفتها، وهذا ما يفتح الآفاق أمام العقل ليتفكر ويمحص وينقد حتى يصل إلى حق اليقين في اعتقاده.

فهذه العقيدة أساسها الذي تنبني عليه هو العلم، فهي بنفسها تدفع المؤمن إلى التعلم ونفي الجهل عن نفسه؛ لأن الجهل أعظم معصية عصي بها الله سبحانه.

---

[61] المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب: د. راغب السرجاني: 263.

[62] روح الدين الإسلامي: عفيف عبد الفتاح طبارة: 176.

[63] الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية: د. محمد سعيد رمضان البوطي: 82.

[64] صحيح البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب إذا خاصم فجر، الحديث 2459.

ثم إن الإيمان بالله يفتح آفاق الكون أمام المؤمن ليكتشف قوانينه وأسراره؛ لأن عقيدته تخبره أن هذا الكون مسخر له، وأنه كون منظم له قوانينه، ويفك عنه أغلال الأساطير والتفسيرات الخرافية للكون وظواهره، كما يحمي عقله من خبط الاعتقاد بأن أساس الكون العبث والعشوائية بدون قانون، وفي هذا يقول الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي: "فلقد أتاح التوحيد، القائم على عبودية كل ما في الوجود لله رب العالمين، للعقل المختلق للأساطير الدينية والأسير لها، فرصة للنضج والتبدل، كما أتاح الفرصة للعلوم الطبيعية والحضارية، أن تتطور في كنف رؤية دينية كونية تنفي أي ربط للمقدس بالطبيعة جملة وتفصيلا"[65].

ثاني عشر: الجمال

إن الإيمان بالله يعني الإيمان بالجميل جمالا مطلقا، ويعني التسليم بجمال مخلوقاته، التي تتسم بالنظام والدقة والتناسق، فهو سبحانه جميل يحب الجمال، طيب لا يقبل إلا طيبا، وهو سبحانه خلق الإنسان وعدله وصوره في أحسن صورة، وخلقه في أحسن تقويم، وزين السماء، وجعل في الأرض حدائق ذات بهجة، وجعل للناس جمالا في الأشجار والأنعام وسائر المخلوقات.

وهذا الإيمان يحمل صاحبه على السعي الدائم إلى البحث عن الجمال والانجذاب إليه[66]، حتى إنه بوسع الرحالة أينما سار من الشواطئ الشرقية للمحيط الأطلسي، إلى الشواطئ الغربية "ملاحظة التطابق بين كل تلك المناطق في الحساسية للقيم التي جاء بها الإسلام، في الفنون الخطية والمرئية والموسيقية، في الحياة اليومية للسكان، على اختلاف أعراقهم وألوانهم ولغاتهم وأساليب حياتهم"[67].

فالإيمان بالله يدفع المؤمن إلى الاعتناء بجماله الظاهري في كل شؤون حياته، فظهر الجمال في العمارة والصناعة والخط... ويعتني بجماله الباطني فظهر الجمال في الأخلاق والسلوك والمعاملات والأحوال...

ثالث عشر: أسماء الله الحسنى أصل لكل القيم:

يتطلب الإيمان بالله سبحانه، الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهذا الإيمان دافع إلى التحلي بكل القيم، وذلك أن من مقتضيات الإيمان بأسمائه سبحانه: التخلق بما يليق بالعبد منها، وترك ما يختص بالله تعالى[68]، ولا يليق بالمؤمن أن يعلم أن له ربا رحيما، ثم يتعامل مع الناس بالقسوة والعنف، ولا يليق به أن يعلم أن ربه عدل، ثم يتعامل بالظلم، ولا يليق به أن يعلم أن الله هو خالق الناس وإلههم ثم يسعى للتحكم في الناس واستعبادهم...

يقول الدكتور مصطفى السباعي عن حال المؤمن الذي تشرب معاني أسماء الله الحسنى: "فعبد القوي لا يكون ضعيفا، وعبد العزيز لا يكون مَهينا، كما أن عبد الكريم لا يكون بخيلا، وعبد الحكيم لا يكون جهولا، فانتسابك إلى الله يحتم أن تتخلق بأخلاقه إلا ما تفرد به سبحانه من صفات الجبروت والكبرياء وما شابههما"[69].

---

[65] التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة: د. إسماعيل راجي الفاروقي: 114.

[66] ينظر: جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح: د. فريد الأنصاري: 55.

[67] التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة: د. إسماعيل راجي الفاروقي: 301-302.

[68] قال أبو سليمان الخطابي (ت388هـ) في شرح حديث "إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة" أن من معاني "أحصاها"أن يطيق القيام بحقها في معاملة الله تعالى بها. ومطالبة النفس بمواجبها فيُخطرَ بقلبه معنى العفو والمغفرة إذا سماه عفوا وغفورا فيرجو مغفرة الله وعفوه ويحذر نقمته إذا قال المنتقم ويثق بما وعد من الرزق وتطمئن به نفسه إلى ما ضمنه منه إذا قال الرزاق، وإذا قال رقيب راقب ربه وعلم أنه مطلع على سره إلى ما يشبه ذلك من الأمور التي تقتضيها معاني هذه الأسماء" غريب الحديث: أبو سليمان الخطابي (ت388هـ) 1/730-731،

[69] إسلامنا (تعريف موجز): لمصطفى السباعي: 44.

المطلب الثالث: أثر الإيمان بالملائكة في التنمية القيمية

أولا: الكمال البشري

يؤمن المؤمن بأن لله ملائكة مطهرة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فيدفعه هذا الإيمان إلى التطلع ليكون مثلها في العمل بأمر الله، وعدم عصيانه، ولأنه قد تقرر أن كل بني آدم خطاء، وعُلم أن جميع الناس سوى الرسل غير معصومين، فلن يصل الإنسان إلى مرتبتهم في العمل بأمر الله، لكنه سيصل إلى مرتبة الكمال البشري حسب ما يليق به من عدم المحاربة لربه وعدم المجاهرة بعصيانه وعدم النزوع والقصد إلى الشر، ولا يصدر منه ذلك إلا خطأ.

فصاحب هذا الإيمان لا يرضى لنفسه أن يبقى مرتبطا بجسده الطيني ومقوماته الغريزية، وهو يعلم أن هناك كائنات أسمى وأعلى منه، فلا ترى المؤمنين حين يتلقون هذه العقيدة –إذا تلقوها كما ينبغي– إلا وهم "يتفاعلون معها تفاعلا عجيبا؛ إذ يتحولون بسرعة وبعمق كبير من بشر عاديين، مرتبطين بعلائق التراب؛ إلى خلائق سماوية تنافس الملائكة في السماء"[70].

وقد أشار عفيف عبد الفتاح طبارة إلى روح الإيمان بالملائكة بأن "الغرض من ذلك التسامي بالإنسان والترقي به إلى أعلى درجات الكمال"[71].

ثانيا: إتقان العمل وتحمل المسؤولية

يؤمن المؤمن بأن من ملائكة الله الاتي لا تحصى ملائكة وكل إليها تسجيل أعمال العباد، فهي مع العبد لا تفارقه، تسجل عليه كل صغيرة وكبير، فيدفه إيمانه هذا إلى احترامها وتوقيرها وعدم إيذائها بالمعاصي؛ لأن الله سبحانه أكرمهم، ولا يليق بالمؤمن أن يهين ما أكرم الله، قال سبحانه: **{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَاماً كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)}** [الانفطار: 10-12]، كما يدفعه إيمانه إلى الإكثار من العمل الصالح لملء صحيفته بالحسنات، وترك العمل السيء لتجنب تسويد صحيفته بالقبائح والمنكرات، مستحضرا في ذلك قوله تعالى: **{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}** [ق: 18].

فهذا الإيمان ينمي في المؤمن قيمة تحمل المسؤولية وإتقان الأعمال حياء من الملائكة التي لا تفارقه، وإشفاقا على نفسها من أن يكون سببا في أخذ كتابه بشماله، وهذا ما يغنيه عن الرقيب البشري والإلكتروني، والتهديد القانوني.

المطلب الرابع: أثر الإيمان بكتب الله في التنمية القيمية

إن كتب الله تعالى التي أنزلها على رسله، خزان العقيدة التي ارتضاها الله لعباده، وهي التي على أساسها يتقبل الإنسان القيم الفطرية الأصلية وما تفرع عنها، وهي التي تدفع الإنسان إلى التحلي بتلك القيم والالتزام بها، ولذلك سأكتفي في الحديث عن القيم التي ينميها الإيمان بكتب الله تعالى بقيمة واحدة من القيم التي تقدمت أثناء الحديث عن القيم التي ينميها الإيمان بالله تعال، وهي قيمة:

الأخوة الدينية

فالمؤمن بكتب الله تعالى، وعلى رأسها القرآن الكريم، يجد أنه كتاب مصدق لما بين يديه من الكتب، ويقرأ أوصاف تلك الكتب في القرآن الكريم فيجد قوله تعالى عن التوراة: **{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ}** [المائدة: 44]، ويقرأ عن الإنجيل: **{وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}** [المائدة: 46].

---

[70] جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح: د. فريد الأنصار: 63.

[71] روح الدين الإسلامي: عفيف عبد الفتاح طبارة: 140.

وبهذا يعلم المؤمن أن المؤمنين بهذه الكتب لا زال عندهم بصيص من نور الحق، ومن نور كلام الله عز وجل، ولذلك أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: **{آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا}** [البقرة: 136] الآيَةَ"[72] ولو أنهم أحسنوا تطبيقها لما وسعهم إلا اتباع القرآن الكريم الذي جاء مكملا لها وخاتما وناسخا.

وتتفرع عن هذه القيمة قيم التعارف والتعاون والتراحم والتكافل...

المطلب الخامس: أثر الإيمان برسل الله في التنمية القيمية

أولا: الكمال البشري

إن الإيمان برسل الله عز وجل الذين اصطفاهم الله سبحانه، وعصمهم من الشر والأخطاء، وجعلهم قدوة للناس يعطي للإنسان أملا في الانتصار على شهواته، والقدرة على حبس نفسه عن المعاصي؛ ليتحقق له الكمال البشري على قدر استطاعته؛ يقول ماجد زكي الجلاد "أما الإيمان بالرسل الذين يمثلون أرقى النماذج البشرية وأكملها اعتقادا وسلوكا، فيقود الإنسان إلى الاعتبار بسيرهم وتمثل سلوكياتهم السامية في مجالات الحياة كافة"[73]

ثانيا: الأخوة الدينية

تقدم الحديث عن هذه القيمة تنمية الإيمان بالله سبحانه للقيم، وكذلك الإيمان بكتب الله، وإن الإيمان برسل الله من قواعد العقيدة التي تنمي هذه القيمة عند المؤمن؛ لأن عقيدته تملي عليه أن يؤمن بجميع الرسل والأنبياء بدون تفريق، وهو ما يعلمه أن دين الأنبياء واحد، وأن أتباع الأنبياء لا ينبغي لهم أن يتعصبوا لنبي دون آخر، وإنما يجب عليهم أن يتبعوا أمر الله في كيفية اتباع أنبيائه، وذلك باتباع خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، فعقيدة المؤمن في الرسل والأنبياء هي قوله تعالى: **{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}** [البقرة: 285].

وعن هذه القيمة تتفرع القيم التي سيقت الإشارة إليها من تواصل وتعارف وتعاون...

المطلب السادس: أثر الإيمان باليوم الآخر في التنمية القيمية

أولا: الأمن النفسي

إن الإنسان الذي لا يؤمن باليوم الآخر لا يمكن أن يكون في أمن نفسي ولو ادعى ذلك، وكيف يكون في طمأنينة وهو يشعر في كل لحظة بالموت يتربص به ليقع عنه هذه الحياة التي يعتقد أنها فرصته الوحيدة؟ ويرى الظالم لم ينل جزاءه؟ ويرى المظلوم لم يسترجع حقه؟ وتصيبه المصائب وتحل به الأمراض والآلام ولا عزاء له؟ وانظر إلى الحالة النفسية لذلك الفيلسوف الفرنسي الذي "سئل بعد محاولته الانتحار: لماذا أقدمت على الانتحار؟ فقال: (أردت أن أستدعي الموت قبل أن يستدعيني). فانظر إلى هذا الكذب الجبان! المبطن بالفلسفة! وإنما هو قد فزع من فكرة الموت إلى الموت! لعله يجد بعد قلقه استراحة. وهو حال كثير من الذين تفزعهم حقيقة الموت، وهم يفكرون فيها خارج أفق الإيمان الرحب الفسيح"[74]، ألا إن الإيمان باليوم الآخر وحده هو الذي يبدد ظلمات هذا الخوف والحزن والقلق والكآبة التي تملك النفس الجاحدة، فترى المؤمن في طمأنينة وسكينة نفسية لا ينعم بها غيره، وترى حياته كلها أمن وسلام، وذلك لأن إيمانه باليوم الآخر يخبره أن لهذا

[72] صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} [البقرة: 136]، الحديث 4485.

[73] تعلم القيم وتعليمها: د. ماجد زكي الجلاد: 59.

[74] جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح: د. فريد الأنصاري: 145.

الكون خالقا يدبره، وله يوم سيحاسب فيه الجميع على أعمالهم، وذلك اليوم امتداد لهذه الحياة واستمرار لها "فلا فناء ولا انقراض، وهذا سبب من أسباب تلك الطمأنينة العالية، والراحة الشاملة"[75].

وقد عبر الشيخ أبو زهرة عن هذه الحقيقة بقوله: "إن الإيمان باليوم الآخر ذخيرة إنسانية، وعتاد المقاومة لشدائد هذه الحياة ولأوائها، ومن حرمها فقد حرم خير زاد يعلو به الإنسان ويقاوم أحداث الزمان"[76].

ثانيا: الصلاح والإصلاح

يدفع الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء المؤمن إلى الاستعداد له بالأعمال الصالحة، فتراه مسارعا في الخيرات مسابقا إلى جميع القربات، رغبا في نعيم الله ورهبا من عذابه، فينمي فيه هذا الإيمان قيم الصلاح والإصلاح وتتفرع عنها قيم التعاون والتراحم والتكافل، كل ذلك لوجه الله وخوفا من اليوم العبوس القمطرير، لا لمصلحة يرتجيها ممن يحسن إليه، وهل يستوي هذا ومن قال الله تعالى فيه: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}** [يس: 47].

يقول عفيف عبد الفتاح طبارة عن عناية الإسلام بعقيدة البعث والحساب والجزاء: "وإنما عني القرآن بهذه العقيدة لأنها أصل عظيم من أصول الصلاح والإصلاح في العالم"[77]

وأي شيء يحمل المكذب باليوم الآخر على الصلاح في نفسه والرغبة في إصلاح العالم من حوله؟ إن لم يحمله على الفساد والإفساد في الأرض وارتكاب ما تهواه نفسه من الجرائم والمنكرات، وهو يجد لها في تكذيبه باليوم الآخر مبررا ومسوغا.

ثالثا: إتقان العمل وتحمل المسؤولية

إن المؤمن بحساب الله وجزائه، يوقن أن جزاء الله هو الجزاء الأوفى، وأن عقاب الله أليم شديد، يغنيه عن المراقبة البشرية والإلكترونية، والخوف من العقوبة الدنيوية؛ لأنه أشد اهتماما ورغبة في مثوبة الآخرة، وأشد خوفا وفرارا من عقابها، لعلمه ان ثواب الدنيا مهما عظم فهو فان، وأن عقابها مهما اشتد فهو ماض زائل، والآخرة بنعيمها خير وأبقى، وبعذابها أدهى وأمر.

وإيمان المؤمن بالله سبحانه وبحسابه في اليوم الآخر يجعل المسلم متقنا لأعماله متحملا لمسؤوليته بإخلاص لله سبحانه لا رغبة في الشهرة والسمعة وحطام الدنيا؛ لأنه يعلم أن تحصيل ثواب الدنيا لا يضمن تحصيل ثواب الآخرة إذا غاب الإخلاص وأقبل القلب على الدنيا فقط، كما يعلم أن النجاة من عقاب الدنيا بسبب غفلة من يراقبه، أو احتياله على القوانين، لا يضمن له النجاة من عقاب الآخرة.

رابعا: البذل والعطاء والتطوع والإيثار

كل عاقل يطمح إلى الباقي لا إلى الفاني، ويرنو إلى الأعلى لا إلى الأسفل، وإذا قارن العاقل بين الدنيا والآخرة؛ فإنه يجد أن الآخرة خير وأبقى، فهي دار الخلود، ودار النعيم والهناء، ولا يليق به بعد ذلك أن يركن إلى الفاني ويؤثره على الباقي، ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، والإيمان باليوم الآخر هو الكفيل بدفع المؤمن إلى بلوغ هذه المراتب، فلا ترى المؤمن إلا معطاء متطوعا مؤثرا لغيره على نفسه، لا يركن إلى الدنيا، ولا يطمئن إلى زخرفها، وما ذلك إلا لأنه فهم حقيقة الدنيا، وعلم "أنها ليست إلا معبرا إلى الحياة الآخرة، وأن الإنسان إنما يأخذ من هذه إلى تلك، حصيلة كسبه وأعماله، لينال عليها الجزاء الأوفى"[78].

---

[75] جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح: د. فريد الأنصاري: 149.

[76] المجتمع الإنساني في ظل الإسلام: محمد أبو زهرة: 36.

[77] روح الدين الإسلامي: عفيف عبد الفتاح طبارة: 121.

[78] منهج الحضارة الإنسانية في القرآن: د. محمد سعيد رمضان البوطي: 61.

خامسا: الوسطية والاعتدال

إن تنمية الإيمان باليوم الآخر لقيم البذل والعطاء والتطوع، لا يعني أن يتجرد المؤمن الدنيا، ولكن هذا الإيمان العجيب يصلح الإنسان من جميع جوانبه، فهو ينمي فيه قيم الصلاح والإصلاح، وقيم البذل والعطاء، ولا يرى قدرته على ذلك إلا بالاستثمار في هذه الدنيا لأنها المعبر إلى الآخرة، وبهذا يتحلى بقيمة الوسطية والاعتدال، فلا يترك الدنيا منقطعا إلى الرهبانية، ولا يترك الآخرة غارقا في الدنيا، وإنما يجمع بين الحسنيين منهما، جنة الدنيا وجنة الآخرة، وذلك قوله تعالى **{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}** [القصص: 77]، ودعاء المؤمنين: **{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً}** [البقرة: 201].

وإن الإنسان الجاحد لليوم الآخر، لا يرى في هذه الدنيا إلا فرصة فانية، عليه أن يلتهم فيها كل شيء ما استطاع، وتراه غارقا في الدنيا وماديتها مقبلا على جميع متعها ولا معيار عنده للتفريق بين حلوها ومرها في العاجل أو في الآجل، وصدق الله سبحانه: **{إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ}** [النمل: 4].

المطلب السابع: أثر الإيمان بالقضاء والقدر في التنمية القيمية

الأمن النفسي وتحمل المسؤولية

بأي شيء يتعزى من لا يؤمن بالقضاء والقدر إذا اصابته مصيبة؟! وكيف يعيش حياته وهو ينتظر كل يوم آلاما لا يدري حكمتها وعلتها؟! إنها حياة الشقاء والضنك.

أما المؤمن بالقضاء والقدر، فكل الأمور بالنسبة له تجري بتدبير الله وتقديره، منها ما هو ابتلاء للإنسان، ومنها ما هو جزاء له على سوء عمله، وعدم قيامه بواجبه، فإذا أصابه خير مما هو من قبيل الابتلاء شكر الله عز وجل ولم يتكبر على غيره، وإذا أصابه شر مما هو من قبيل الابتلاء صبر وسلم أمره لله، وأعلن أنه عبد لله راجع إليه فتأتيه الصلوات من ربه والرحمة، فأين يجد الإنسان طمأنينته إلا في هذا الإيمان؟!

وإذا أصابه خير مما هو من قبيل الجزاء المعجل على أعماله الصالحة، نسب الفضل في ذلك إلى ربه، واعترف له بتوفيقه، وشكر مولاه وواصل طريقه، وإذا اصابه شر مما هو من قبيل بعض الجزاء المعجل على الأعمال السيئة استغفر ربه وتاب إليه، واستفاد من ذلك التنبيه وتحمل مسؤوليته، ولم يتبرم ولم يتضجر، وهكذا نفسية المؤمن بالقضاء والقدر، لا جزع ولا هلع ولا طغيان ولا تكبر، وتلك أعماله الصالحة لا تفاخر ولا توقف ولا كسل.

يقول الدكتور ماجد زكي الجلاد: "يعطي الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره أقوى الدوافع والمحفزات على الثبات على القيم الفاضلة والصبر عن القيم السلبية، وذلك من خلال إيمان الفرد بعلم الله الشامل وقدرته التي لا تغلبها قوة، فتطمئن النفس، ويهدأ الروع، ويستمر العطاء"[79].

وتتفرع عن هذه القيم قيم أخرى كثيرة منها: التواضع والثبات والصبر والتضحية والشجاعة... يقول عفيف عبد الفتاح طبارة: "والاعتقاد بالقدر تتبعه صفات الشجاعة والبسالة والجود والسخاء"[80] وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: **{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(23)}** [الحديد: 22-23]، وقوله صلى الله عليه وسلم: **"عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"**[81].

---

[79] تعلم القيم وتعليمها: د. ماجد زكي الجلاد: 59.

[80] روح الدين الإسلامي: عفيف عبد الفتاح طبارة: 157.

[81] صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، الحديث: 2999.

وإن التاريخ خير شاهد على تمثل المسلمين لهذه القيم وتحليهم بها انطلاقا ن عقيدة القضاء والقدر الفعالة المؤثرة، يقول الدكتور مصطفى السباعي: "وإن ما نقرأه في تاريخ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان من آيات البطولات، ومعجزات الشجاعة... وليس لذلك سبب إلا عقيدة الإيمان بأن الموت حق لا بد منه وأن لكل إنسان أجلا معينا... لقد فهموا القضاء والقدر على أنه لا يقدم أجلا ولا يؤخر رزقا، فجاهدوا في الله حق جهاده، وقالوا كلمة الحق حين يجب أن تقال"[82].

المبحث الثالث: سبل تمكين العقيدة الإسلامية من أداء وظيفتها في التنمية القيمية

ليس هناك عقيدة أنقى ولا أصفى من عقيدة الإسلام التي ارتضاها الله لعباده، فهي عقيدة حضارية تحول الإنسان من كائن مشغول بغرائزه إلى كائن مشغول بإصلاح نفسه والعالم من حوله، يملأ الدنيا سعادة وأملا، فهي عقيدة تنمي قيم الإنسان وتزكيها، والتاريخ خير شاهد على ذلك، ولكنه أتى على المسلمين حين من الدهر، تلقى بعضهم هذه العقيدة من الثقافة السائدة في المجتمع، فكان أول عهده بسماع اسم الله سبحانه: السب واللعن والأيمان الكاذبة، وتلقاها المتعلمون من الأمة بطريقة حجاجية جدلية، فلم تثمر تلك العقيدة ثمراتها ولم تظهر في حملتها نتيجتُها، ومعلوم أن طريقة تحمل هذه العقيدة هو المحدد لتأثيرها، يقول الدكتور عبد المجيد النجار: "ولكن هذه العقيدة يتوقف عملها في الدفع الحضاري على كيفية تحمل المسلمين لها"[83].

وإن هذه العقيدة الفياضة بأنوار القيم الإنسانية لا تحتاج منا اليوم إلا أن نحسن عرضها، سواء في سلوكنا أو في تعليمنا، أو في إعلامنا، فيجمع المتلقي لها بين معرفة آثارها القيمية ورؤيتها.

أولا: في السلوك

ينبغي أن يكون المسلم عموما، والداعي إلى الإسلام خصوصا، والمعلم لعقيدة الإسلام على وجه أخص، أشد الناس اصطباغا بالقيم التي تنميها هذه العقيدة، فتظهر آثارها في أقواله وأفعاله وتصرفاته وأحواله، فيكون تأثيرها في المتلقي بالقدوة والتطبيق العملي قبل الدعوة والعرض والتعليم؛ إذ الدعوة بالفعل أبلغ من الدعوة بالقول: {**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**} [فصلت: 33].

ثانيا: في التعليم والتدريس

لكي تؤتي هذه العقيدة ثمراتها في التعليم أرى أنه ينبغي القيام بما يلي:

أ- الجمع بين المنهج الكلامي والمنهج التزكوي في تدريسها:

إن المتلقي للعقيدة ليس واحدا، ولذلك ينبغي مراعاة حال المتلقي واختيار المنهج المناسب له على حسب سنه ومستواه التعليمي والفكري، فالأصل أن يُجمع بين المنهج الحجاجي والمنهج التربوي مع التركيز على أحدهما حسب حال المخاطب، لأن تدريسها بالحجاج فقط قد لا يبلغ الغاية المقصودة، إن لم يكن منفرا منها، كما أن تدريسها بالمنهج التربوي الخالي من الحجاج قد لا يبلغ الغاية منها، فليس كل الناس في حاجة إلى الحجاج العقلي، وليس كل الناس يستجيبون للمنهج التربوي وحده، لأن من المخاطبين من لا يحتاج إلى أدلة أخرى على وجود الله غير فطرته، ومنهم من يحتاج جميع أنواع الأدلة ليصل إلى مرتبة اليقين، والمدرس ينبغي أن يكون حكيما ذا فراسة يجمع بين المنهجين، أو يركز على أحدهما، أو يستعمل أحدهما دون الآخر، كل ذلك على حسب السياق والمخاطب.

[82] إسلامنا (تعريف موجز): د. مصطفى السباعي: 88-89 بتصرف.

[83] دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية: عبد المجيد النجار، مجلة إسلامية المعرفة، العدد1، 1995: 57.

وذلك لأن "التقسيمات الكلامية للعقيدة الإسلامية، التي أملتها ضرورة حجاجية حينا، وضرورة تعليمية حينا آخر، ليست ذات جدوى في عالم التربية الإيمانية"[84] كما أن العرض التربوي للعقيدة ليس ذا جدوى في عالم الجاحدين والمتشككين.

وتجدر الإشارة هنا إلى وجوب مراعاة ثقافة المخاطب ونظرته إلى المصطلحات المستعملة في التدريس، ومن ذلك ما نبه عليه الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي بقوله: "ينبغي للمسلم أن يتحرز في التعبير عن إيمانه من استخدام مفهوم العقيدة أو الإيمان، لما لحق بهما من تلبيس في الخبرة الغربية"[85]

ب- تنويع أساليب عرض العقيدة وتدريسها

لا ينبغي الاكتفاء بتدريس العقيدة في متون ومنظومات، وإنما ينبغي إلى جانب ما ذكر أن تنوع طرق عرضها، فتحضر العقيدة في القصة والرواية والمسرحية والصورة والشريط المرئي، حسبما استجد في هذا العصر من وسائل؛ لتكون أرسخ وأثبت وأقوى.

ج- اتخاذ العقيدة مادة أساسا في جميع المراحل وفي جميع التخصصات

إذا أردنا حقا أن تؤتي العقيدة الإسلامية ثمراتها في التنمية القيمة فينبغي حضورها باعتبارها مادة من المواد الأساس، في جميع المراحل الدراسية، وفي جميع التخصصات، لا أن تبقى خاصة بالمتخصصين في العلوم الشرعية، فهذه العقيدة أساس الإسلام، وينبغي أن يتشربها كل مسلم، وأن يعرف المعلوم منها بالضرورة، ويزيد عليه في زماننا ليكون أشد تحصنا من الشبهات، ويكون داعيا إليها بما تنميه فيه من قيم. ولكن تحقق هذا الذي ذكر رهين باستقلالنا التعليمي من الناحية اللغوية والفكرية والثقافية، فإذا ملكنا زمام أمورنا تسنى لنا حينئذ أن نسطر مناهجنا التعليمية وبرامجنا انطلاقا من هويتنا لا مما يملى علينا ويخطط لنا.

د- تأطير العقيدة وحضورها في جميع العلوم

إن تدريس العقيدة الإسلامية في جميع المراحل والتخصصات لن يؤتي ثمراته في التنمية القيمية إلا إذا كانت هذه العقيدة مؤطرة لجميع المواد المدرسة، وتم تلقي جميع العلوم باعتبارها معرفة على عظمة الله وقدرته، فعلم الفلك وعلم الفيزياء يعرفان الإنسان على قوانين الله في الكون، وعلم الحياة والأرض يعرف الإنسان على قوانين الله في الكائنات الحية وغير الحية، وعلم التاريخ يعرف الإنسان على سنن الله في تداول الحضارات، وعلم النفس والاجتماع يكشفان للإنسان أسرار الله في النفس والمجتمع، وإلى هذا كان يدعو بديع الزمان النورسي تلاميذه حينما تمت علمنة هذه العلوم وفصلها عن وظائفها فقد كان "حريصا على تعليم تلامذته ومحبيه أن كل علم من العلوم التي يقرؤونها يبحث عن الله دوما، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة، فاصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين"[86].

ثالثا: في الإعلام

إن وسائل الإعلام في زماننا أشد تأثيرا وأشد تبليغا وترسيخا للمعارف والمبادئ من غيرها من الوسائل، ولذا ينبغي استثمارها في تمكين العقيدة الإسلامية من تأثيرها وتنميتها للقيم، من خلال ما يلي:

أ- تأطير ما يعرض في الإعلام

ينبغي أن تكون العقيدة الإسلامية منطلق ما يعرض في الإعلام، سواء تعلق الأمر بالنشرات الإخبارية، أو نشرات الطقس، أو الإشهارات، أو البرامج الوثائقية... فيكون منها المنطلق وإليها المعاد.

---

[84] جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح: د. فريد الأنصاري: 64.

[85] التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة: د. إسماعيل راجي الفاروقي: 96.

[86] العقل المؤيد بالإيمان عند الإمام النورسي أو اتصال الآيات بالقيم: د. إدريس مقبول، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، السنة 5/ يناير 2014/ العدد 9: 16.

ب- حضورها في الإنتاج الإعلامي

وذلك بأن تعرض العقيدة الإسلامية في أفلام ومسلسلات ومسرحيات... ولا شك أنه سيكون لهذا من التأثير خير كثير؛ لأن الْمَشَاهد بإمكانها أن تجمع بين المعلومة العقدية والسلوك القيمي الناتج عنها.

خاتمة

ليس في قدرة العقيدة الإسلامية على تنمية القيم أي ريب عند العقلاء، فالعقيدة الإسلامية بجميع أصولها وفروعها مَعين للقيم لا ينضب، ومِن دون هذه العقيدة يصعب على البشرية تحديد القيم الإنسانية والاتفاق حولها، وبدونها يصعب الالتزام والتمسك بتلك القيم والثبات عليها، فهي أساس تقبل القيم الإنسانية المغروزة في الفطرة التي فطر الله عليها الإنسان، وهي أساس تقبل القيم التي جاء بها شرع الله الذي شرعه الله للإنسان، وهي أقوى الدوافع لهذا الإنسان إلى التحلي بتلك القيم وعدم التخلي عنها.

فهذه العقيدة ليست علما جامدا يطلب لذاته، وليست معارف تراثية تحفظ وتستظهر وتستذكر أمجادها، وإنما هي علم غايته نفع الإنسان، وتحويله من إنسان سلبي إلى إنسان إيجابي مفعم بالعطاء، صالح في نفسه، مصلح للكون من حوله، وليس بينها وبين تحقيق هذه التنمية القيمية إلا فسح المجال أمامها وعدم إقصائها، وذلك بجعلها مؤطرة للبرامج التنموية، وحاضرة في المناهج والبرامج التعليمية والإعلامية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- الإسلام بين الشرق والغرب: علي عزت بيجوبيتش، ترجمة محمد يوسف عدس، مؤسسة العلم الحديث – بيروت، ط1، 1414هـ/1994م.
- الإسلام عقيدة وشريعة: الإمام الأكبر محمود شلتوت، دار الشروق، ط18، 1421هـ/2001م.
- الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية: محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر: بيروت – لبنان، دار الفكر: دمشق – سورية، ط1، 1404هـ/1984م.
- الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية: أبو الحسن الندوي، دار الصحوة للنشر، ط1، 1406هـ/1986م.
- إسلامنا (تعريف موجز): مصطفى السباعي، دار الوراق، دار النيرين، ط1، 1422هـ/2001م.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ
- التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي الغرناطي (ت741هـ)، تح: علي بن حمد الصالحي، دار طيبة الخضراء، ط1، 1439هـ/2018م.
- تعلم القيم وتعليمها: تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، د. ماجد زكي الجلاد، دار المسيرة.
- تنظيم الإسلام للمجتمع: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
- التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة، د. إسماعيل راجي الفاروقي، ترجمة د. السيد عمر، مدارات للأبحاث والنشر، ط2، 1435هـ/2014م.
- جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح، د. فريد الأنصاري، دار السلام، ط4، 1435هـ/2014م.
- حرية الإنسان في ظل عبوديته لله، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر: بيروت – لبنان، دار الفكر: دمشق – سورية، ط1، 1413هـ/1992م.
- حفارو القبور: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، روجيه غارودي، ترجمة عزة صبحي، دار الشروق، ط3، 1423هـ/2002م.
- رحماء بينهم: قصة التكافل والإغاثة في الحضارة الإسلامية: راغب السرجاني، نهضة مصر، ط1، 2010م.
- روح الدين الإسلامي: عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، ط28، 1993م.
- روح الدين: من ضيق العَلمانية إلى سَعة الائتمانية، الفيلسوف طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء – المغرب، ط2، 2012م.
- سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي (ت279هـ): تح: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2، 1395هـ/1975م.
- صحيح ابن حِبَّان: محمد بن حبان البُستي (ت354هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- غريب الحديث: أبو سليمان الخطابي (ت388هـ)، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر – دمشق، 1402هـ/1982 م
- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية: أحمد الريسوني، روافد، الإصدار 24، 1430هـ/2009م.
- الله أم الإنسان، أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر: بيروت – لبنان، دار الفكر: دمشق – سورية.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة – أمام جامعة الأزهر.
- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام: محمد أبو زهرة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط2، 1401هـ/1981م.

- مجلة إسلامية المعرفة: السنة 14، العدد 54، خريف1429هـ/2008م
- مجلة إسلامية المعرفة: العدد1، 1995م.
- مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية: العدد 9، السنة 5/ يناير2014م.
- مسند الحميدي: أبو بكر عبد الله الحميدي (ت: 219هـ)، تح: حسن سليم أسد الدَّارَانِيّ، دار السقا، دمشق – سوريا، ط1، 1996م.
- المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب: راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ، ط1، 1432هـ/2011م.
- مقاصد الشريعة الإسلامية: الطاهر بن عاشور، تح: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس – الأردن، ط2، 1421هـ/2001م.
- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن: محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر.
- النور المبين في قواعد عقائد الدين: ابن جزي الغرناطي (ت741هـ)، اعتنى به نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة: تونس، دار الضياء: الكويت، ط1، 1436هـ/2015م.